# ذم علماء السوء وفقهاء السلاطين والأئمةِ المضلِّينَ الذين باعوا دينهم بدنياهم وعلمهم بمناصبهم

# ((يضم اليها قيام العلماء الربانيين بمسئولياتهم وصبرهم على البلاء في سبيل الحق

(( يضم اليها قصة حسد الأقران وخاصة الإمام البخاري في سمرقند))

قال الله تعالى:" وَإِذْ أَخَذَ اللَّـهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿آل عمران: ١٨٧﴾

وقال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّـهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿البقرة: ١٥٩﴾

وقال تعالى: "فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿المائدة: ١٣﴾

وقال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّـهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿آل عمران: ٢٣﴾

وقال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ الأعراف

1 وقال تعالى: " وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّـهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّـهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠١﴾

وقال تعالى: " أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّـهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّـهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿الجاثية: ٢٣﴾

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ) التوبة: 34

قال ابن كثير رحمه الله [قال السدِّي: الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى،

ويقول تعالى : {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ الله وَالله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}[الجمعة:5]

وعن أسامة بن زيد رضي اللهعنه أنه قيل له: لو أَتيتُ فُلانًا فكلَّمتُه، قال: إنَّكم لَتَرونَ أنِّي لا أُكلِّمُه إلَّا أُسمِعُكم، إنِّي أُكلِّمه في السِّرِّ دونَ أن أَفتحَ بابًا لا أكونُ مَن فَتحَه، ولا أَقولُ لِرَجلٍ إن كان عليَّ أميرًا: إنَّه خيرُ النَّاسِ، بعدَ شيءٍ سَمِعتُه مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم. قالوا: وَما سَمِعتَه يَقولُ؟ قال: سَمِعتُه يَقولُ: يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلقى في النَّارِ، فَتندَلِقُ أَقتابُه في النَّارِ، فيَدورُ كَما يَدورُ الحِمارُ بِرَحاه، فيَجتمِعُ أهلُ النَّار عَليه فيَقولونَ: أي فُلانُ، ما شَأنُك؟ ألَيس كُنتَ تَأمُرُنا بالمَعروفِ وتَنهانا عنِ المُنكرِ؟ قال: كُنت آمُرُكم بالمَعروفِ ولا آتيهِ، وأَنْهاكم عنِ المُنكَرِ وآتيهِ.رواه البخاري

وعن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إنَّ ممَّا أتخوفُ عليكُم رجلٌ قرأ القرآنَ ، حتَّى إذا رُؤيَتْ بهجتُه عليهِ و كانَ رِدءُ الإسلامِ اعتراهُ إلى ما شاءَ اللهُ : انسلخَ منهُ ونبذَ وراءَ ظهرِه ، وسعى على جارِه بالسَّيفِ، ورماهُ بالشِّركِ . قالَ قلتُ : يا نبيَّ اللهِ ، أيُّهُما أولى بالشِّركِ ؛ المَرْمِيُّ أو الرَّامي ؟ قال : بلِ الرَّامي .قال ابن كثير في تفسير القرآن3/509 ، إسناده جيد، وأشار الشيخ احمد شاكر في المقدمة الى صحته . عمدة التفسير 2/76

وفى جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ رجالٌ يختِلونَ الدُّنيا بالدِّينِ يلبَسونَ للنَّاسِ جلودَ الضَّأنِ منَاللِّينِ ألسنتُهم أحلى منَ السُّكَّرِ – وفي رواية " ألسنتُهُم أحلَى منَ العسلِ" - وقلوبُهم قلوبُ الذِّئابِ يقولُ اللَّهُ أبي يغترُّونَ أم عليَّ يجترئونَ فبي حلفتُ لأبعثنَّ على أولئِك منهم فتنةً تدعُ الحليمَ فيهم حيرانَ" حديث حسن ، ابن حجر العسقلاني في تخريج المشكاة 5/63 قال المنذري في الترغيب1/50 إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، وقد حسنه السيوطي وضعفه الألباني

وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يَخرجُ قومٌ في آخِر الزَّمانِ ، أحداثُ الأسنانِ ، سُفهاءُ الأحلامِ ، يقولون مِن خيرِ قولِ البَرِيَّةِ ، لايُجاوِزُ إيمانُهم حناجِرَهم ، يَمرُقون مِن الدينِ كما يَمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، فإذا لقِيتُموهم فاقتلوهم فإنَّ قَتْلَهم أجرٌ لِمَنْ قَتَلهم يومَ القيامةِ" حديث صحيح ، صحيح النسائي 4113

وعَنْ نَافُعٍ عَنِ ابْنِ عَمْرٍ رضي الله عنهما، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ , لَا تَقُومُ السَّاعَةُ , حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ أُمَرَاءَ كَذَبَةً وَوُزَرَاءَ فَجَرَةً ، وَأَعْوَانًا خَوَنَةً ، وَعُرَفَاءَ ظَلَمَةً ، وَقُرَّاءَ فَسَقَةً ، سِيمَاهُمْ سِيمَاءُ رُهْبَانٍ ، قُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ ، أَهْوَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ فِتْنَةً غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً , فَيَتَهَاوَكُونَ تَهَاوُكَ الْيَهُودِ الظَّلَمَةِ - وفي رواية " يَتَهَوَّكُونَ فِيهَا تَهَوُّدَ الْيَهُودِ فِي الظُّلَمِ " - ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ , لَيَنْقُصُ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً , حَتَّى لَا يُقَالَ : اللَّهَ اللَّهَ ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُّنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ , أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ , فَلَيَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ , ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ , ثُمَّ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ " قال في الأمالي الخميسية للشجري إسناده حسن ورجاله ثقات عدا علي بن محمد المقرئ وهو صدوق حسن الحديث، وقال في العقوبات لابن أبي الدنيا إسناده ضعيف ويحسن إذا توبع. وقال في معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي إسناده حسن رجاله ثقات عدا ابن أبي الدنيا القرشي وهو صدوق حسن الحديث. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/236 فيه حبيب بن عمران الكلاعي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح ، وفي البحر الزخار بمسند البزار إسناده حسن، وفي كشف الأستار إسناده حسن رجاله ثقات عدا محمد بن إبراهيم المزكي وهو صدوق حسن الحديث.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أشدُّ النَّاسِ عذَابًا يومَ القيامَةِ، رجُلٌ قتلَه نَبِيٌّ أو قَتلَ نبيًّا، وإمامُ ضلالةٍ ومُمثِّلٌ منَ الممثِّلينَ" . حديث حسن رواه احمد : الصحيح المسند للوادعي 835 وعمدة التفسير ، الرقم 1/121

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لأنا من غيرِ الدَّجالِ أخوفُ عليكم من الدَّجالِ , فقيل : وما ذلك ؟ فقال :من الأئمةِ المضلِّينَ"حديث إسناده جيد، .قال العراقي في تخريج الإحياء 1/86 إسناده جيد

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّهُ سَيكونُ بعدي أُمَراءُ ، فمَن دخَل عليهِم فصدَّقَهم بكذِبِهم ، وأعانَهُم على ظُلْمِهم ؛ فليسَ منِّي ، ولَستُ مِنهُ ، وليسَ بواردٍ على الحوضِ . ومن لَم يدخُل عليهِم ، ولم يُعِنْهُمْ على ظُلْمِهِمْ ، ولم يُصدِّقْهُمْ ، بكَذِبِهم ؛ فهوَ منِّي ، وأنا منه ، وهوَ وارِدٌ علَيَّ الحوضَ . حديث صحيح لغيره، صحيح الترغيب 2243 – 61791 ورواه الترمذي وصححه والنسائي والحاكم وصححه

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ إِنِّي لَجَالِسٌ تَحْتَ مِنْبَرِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ" رواه احمد وسنده صحيح ، الشيخ احمد شاكر 1/86

قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَةٌ : مُنَافِقٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يُخْطِئُ فِيهِ وَاوًا وَلَا أَلِفًا , يُجَادِلُ النَّاسَ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ لِيُضِلَّهُمْ عَنِ الْهُدَى ، وَزَلَّةُ الْعَالِمِ ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ " .

وعن هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من بدا جفا ، ومن تبِع الصيدَ غفَل ، ومن أتى أبوابَ السلطانِ افتُتِنَ ، وما ازداد عبدٌ من السلطانِ قُربًا ؛ إلا ازداد من اللهِ بُعدًا" حديث حسن صحيح، صحيح الترغيب2240 ورواه احمد في مسنده والبيهقي بسند صحيح

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يكونُ أمراءُ تَغْشاهُم غَوَاشٍ أوْ حَوَاشٍ من النَّاسِ ، يَكذِبُونَ ويَظلِمُونَ ، فمَنْ دخل عليهِم فصَدَّقَهم بِكذِبِهم ، أعَانَهم على ظُلمِهم ؛ فلَيسَ مِنِّي ، ولَسْتُ مِنْهُ ، ومَنْ لَم يَدخُلْ عليهِم ، ولَمْ يُصَدِّقْهُم بِكذِبِهم ، ولمْ يُعِنْهم على ظُلمِهم ؛ فَهُو مِنِّي ، وأنا مِنْهُ" حديث صحيح لغيره ، صحيح الترغيب2246/ 70866 ورواه ايضا أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان في صحيحه

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده، والحاكم في تاريخه، وأبو نعيم، والعقيلي، والديلمي، والرافعي في تاريخه، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا خالطوا السلطان، فقد خانوا الرسل فاحذروهم، واعتزلوهم ».

وفي رواية: "العلماءُ أمناءُ الرسلِ على العبادِ ما لم يخالِطوا السلطانَ ويدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا وخالَطوا السلطانَ فقد خانوا الرسلَ فاعتزِلوهُم" قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة1/219 حديث حسن. وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة1/267 له شواهد كثيرة صحيحة وحسنة فهو حسن. ورَوَاهُ الْعُقَيْلِيُّ فِي الْمُصَنَّفِ ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ فِي مُسْنَدِهِ ، وَكَذَا الْحَاكِمُ فِي التَّارِيخِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ ، وَالدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ وَغَيْرُهُمْ ، وَنَازَعَ السُّيُوطِيُّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ فِي وَضْعِهِ فَقَالَ : إِنَّ لَهُ شَوَاهِدَ فَوْقَ الْأَرْبَعِينَ ، فَيُحْكَمُ لَهُ عَلَى مُقْتَضَى صِنَاعَةِ الْحَدِيثِ بِالْحُسْنِ.

وأخرج ابن ماجه بسند رواته ثقات، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ أُنَاسًا من أُمَّتِي يَتَفَقَّهُونَ في الدِّينِ ، ويَقْرَؤُونَ القرآنَ ، ويقولونَ : نأتي الأمراءَ فنُصِيبُ من دُنْيَاهُم ونَعْتَزِلُهُم بدِينِنا ، ولا يكونُ ذلك ، كما لا يُجْتَنَى من القَتَادِ إلا الشَّوْكُ ، لا يُجْتَنَى من قُرْبِهِم إلا الخَطَايَا" حديث ضعيف ، ضعيف الجامع1818 وقال المنذري في الترغيب 3/205 رواته ثقات. وقال الهيتمي المكي في الزواجر

1/91 رواته ثقات

# ومن اقوال السلف الصالح في علماء السوء وفقهاء السلاطين

وقال سفيان الثوري: إذا رأيتَ القارئَ يلوذُ بالسلطانِ فاعلمْ أنهُ لصٌّ ، وإذا رأيتَهُ يلوذُ بالأغنياءِ فاعلمْ أنَّهُ مُراءٍ ، وإياكَ أنْ تخدعَ ويقالَ : يردُّ مظلمةً ، ويدفعُ عنْ مظلومٍ ، فإنَّ هذهِ خدعةُ إبليسَ ، اتَّخذَها القراءُ سُلَّمًا" كذا في كتاب الأسرار المرفوعة للملا علي قاري115

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ : إذَا رَأَيْتُمْ الْعَالِمَ يَغْشَى الْأُمَرَاءَ فَاحْذَرُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ لِصٌّ

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ : وَمِنْ صِفَاتِ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ أَنْ يَكُونُوا مُنْقَبِضِينَ عَنْ السَّلَاطِينِ ، مُحْتَرِزِينَ عَنْ مُخَالَطَتِهِمْ، قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إيَّاكُمْ وَمَوَاقِفَ الْفِتَنِ قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَبْوَابُ الْأُمَرَاءِ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ وَيَقُولُ : مَا لَيْسَ فِيهِ .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ لِسَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ: "لَا تَغْشَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ فَإِنَّكَ لَا تُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ أَفْضَلَ مِنهُ"

وَقَالَ سَمْنُونُ الْعَابِدُ الشَّهِيرُ : " مَا أَسْمَجَ بِالْعَالَمِ أَنْ يُؤْتَى إِلَى مَجْلِسِهِ فَلَا يُوجَدُ ، فَيُسْأَلُ عَنْهُ ، فَيُقَالُ عِنْدَ الْأَمِيرِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ يُقَالُ : إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ يُحِبُّ الدُّنْيَا فَاتَّهِمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ حَتَّى جَرَّبْتُ ذَلِكَ ، مَا دَخَلْتُ قَطُّ عَلَى هَذَا السُّلْطَانِ إِلَّا وَحَاسَبْتُ نَفْسِي بَعْدَ الْخُرُوجِ ، فَأَرَى عَلَيْهَا الدَّرْكَ مَعَ مَا أُوَاجِهُهُمْ بِهِ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالْمُخَالَفَةِ لِهَوَاهُمْ " اهـ

وفي تفسير المنار[ ص: 231 ]: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهِ فَيَجْعَلُوا الْكِتَابَ إِمَامًا لَهُمْ وَنُصْبَ أَعْيُنِهِمْ لَا شَيْئًا مُهْمَلًا مُلْقًى وَرَاءَ الظَّهْرِ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ ، وَلَا يُفَكَّرُ فِي شَأْنِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ ( مِنْهُمُ ) الَّذِينَ يَحْمِلُونَهُ كَمَا يَحْمِلُ الْحِمَارُ الْأَسْفَارَ فَلَا يَسْتَفِيدُ مِمَّا فِيهَا شَيْئًا ، (وَمِنْهُم) الَّذِينَ يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، ( وَمِنْهُمُ ) الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ إِلَّا أَمَانِيَّ يَتَمَنَّوْنَهَا ، أَيْ قِرَاءَاتٍ يَقْرَءُونَهَا ، أَوْ تَشْهِيَاتٍ يَتَشَهُّونَهَا ،

ثُمَّ بَيَّنَ - تَعَالَى - جَرِيمَةً أُخْرَى مِنْ جَرَائِمِهِمْ فِي الْكِتَابِ فَقَالَ : وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَيْ أَخَذُوا بَدَلَهُ فَائِدَةً دُنْيَوِيَّةً قَلِيلَةً لَا تُوَازِي عُشْرَ فَوَائِدِ بَيَانِ الْكِتَابِ ، وَالْعَمَلِ بِهِ ، فَكَانُوا مَغْبُونِينَ فِي هَذَا الْبَيْعِ ، وَالشِّرَاءِ ، وَهَذَا الثَّمَنُ هُوَ مَا كَانَ يَسْتَفِيدُهُ الرُّؤَسَاءُ مِنَ الْمَرْءُوسِينَ وَعَكْسُهُ ، وَمِنْهُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعُلَمَاءُ إِلَى الْحُكَّامِ ، وَأُجُورُ الْفَتَاوَى الْبَاطِلَةِ ، .

ثم قال: وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا مَفْسَدَةَ أَضَرُّ عَلَى الدِّينِ وَأَبْعَثُ عَلَى إِضَاعَةِ الْكِتَابِ ، وَنَبْذِهِ وَرَاءَ الظَّهْرِ ، وَاشْتِرَاءِ ثَمَنٍ قَلِيلٍ بِهِ مِنْ جَعْلِ أَرْزَاقِ الْعُلَمَاءِ وَرُتَبِهِمْ فِي أَيْدِي الْأُمَرَاءِ وَالْحُكَّامِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عُلَمَاءُ الدِّينِ مُسْتَقِلِّينَ تَمَامَ الِاسْتِقْلَالِ دُونَ الْحُكَّامِ - لَاسِيَّمَا الْمُسْتَبِدِّينَ مِنْهُمْ - وَإِنَّنِي لَا أَعْقِلُ مَعْنًى لِجَعْلِ الرُّتَبِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَمَعَايِشِ الْعُلَمَاءِ فِي أَيْدِي السَّلَاطِينِ ، وَالْأُمَرَاءِ إِلَّا جَعْلَ هَذِهِ السَّلَاسِلَ الذَّهَبِيَّةَ أَغْلَالًا فِي أَعْنَاقِهِمْ يَقُودُونَهُمْ بِهَا إِلَى حَيْثُ شَاءُوا مِنْ غِشِّ الْعَامَّةِ بِاسْمِ الدِّينِ ، وَجَعْلِهَا مُسْتَعْبَدَةً لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَبِدِّينَ ، وَلَوْ عَقَلَتِ الْعَامَّةُ لَمَا وَثَقَتْ بِقَوْلٍ ، وَلَا فَتْوًى مِنْ عَالِمٍ رَسْمِيٍّ مُطَوَّقٍ بِتِلْكَ السَّلَاسِلِ ، وَقَدِ انْتَهَى الْأَمْرُ بِالرُّتَبِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ أَنْ صَارَتْ تُوَجَّهُ عَلَى الْأَطْفَالِ بَلِ الْجَاهِلِينَ مِنَ الرِّجَالِ

إلى ان قال: يَعْنُونَ بِالْقُرَّاءِ عُلَمَاءَ الدِّينِ ، يَعْنِي أَنَّ الشَّيْطَانَ يُلَبِّسُ عَلَى رِجَالِ الدِّينِ مَا يَلْبِسُونَ فَيَقُولُ لَهُمْ وَيَقُولُونَ : إِنَّنَا لَا نُرِيدُ بِغِشْيَانِ الْأُمَرَاءِ وَالتَّرَدُّدِ عَلَيْهِمْ إِلَّا نَفْعَ النَّاسِ ، وَدَفْعَ الْمَظَالِمِ عَنْهُمْ ، وَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُونَ الْمَالَ وَالْجَاهَ بِدِينِهِمْ ، وَيَقِلُّ الصَّادِقُ فِيهِمْ . وَهَكَذَا أَضَاعُوا دِينَهُمْ فَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا. أ.ه. من تفسير المنار

وأخرج البخاري في تاريخه وابن سعد في « الطبقات » عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « يدخل الرجل على السلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه شيء ».

وأخرج ابن ماجه، والبيهقي، عن ابن مسعود، قال: لو أن أهل العلم صانعوا العلم، ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم، فهانوا عليهم.

وقال سفيان الثوري: « إن دعوك لتقرأ عليهم: قل هو الله أحد، فلا تأتهم » رواه البيهقي

وروى غنجار في تاريخه عن ابن منير: أن سلطان بخاري، بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري يقول: احمل إليّ كتاب « الجامع » و « التاريخ » لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: « قل له أنا لا أذل العلم، ولا آتي أبواب السلاطين فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضرني في مسجدي أو في داري ».

وقال الزجاجي في أماليه: «مر الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم، ثم قال: « ما لكم جلوسا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله! لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم فضحتم القراء فضحكم الله ». فلطح الشَّيءَ : فَرْطَحه ، بسطه ووسَّعه وعرَّضه

وأخرج أبو نعيم، عن أبي صالح الأنطاكي، قال: سمعت ابن المبارك يقول: « من بخل بالعلم ابتلى بثلاث: إما بموت فيذهب علمه، وإما ينسى، وإما يلزم السلطان فيذهب علمه ».

وأخرج ابن باكويه، عن الفضيل بن عياض، قال: « لو أن أهل العلم أكرموا على أنفسهم وشحوا على دينهم، وأعزوا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله، لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس، واشتغلوا بما يعنيهم، وعز الإسلام وأهله لكنهم استذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم، إذا سلمت لهم دنياهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا ما في أيديهم، فذلوا وهانوا على الناس ».

وأخرج أبو نعيم، وابن عساكر، عن يوسف بن أسباط قال: أخبرنا نجم: أن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه، وعنده الإفريقي، والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم فقال أبو حازم: « إن خير الأمراء من أحب العلماء، وأن شر العلماء من أحب الأمراء. وكانوا فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم، وكان في ذلك صلاح للأمراء وصلاح للعلماء. فلما رأى ذلك ناس من الناس، قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء! وطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم فخربت العلماء على الأمراء، وخربت، الأمراء على العلماء.

وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية?.

وروى أحمد عن عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : ثَلَاثَةٌ لَا تَبْلُوَنَّ نَفْسَك بِهِمْ : لَا تَدْخُلَنَّ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ وَإِنْ قُلْتَ : آمُرُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا تَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ وَإِنْ قُلْتَ : أُعَلِّمُهَا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَا تُصْغِيَنَّ بِسَمْعِك لِذِي هَوًى فَإِنَّك لَا تَدْرِي مَا يَعْلَقُ بِقَلْبِك مِنْهُ .

وعن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى ، قَالَ : ثنا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الآيَةِ : وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا سورة الأعراف آية 175 ، فَحَدَّثَ عَنْ سَيَّارٍ الشامي أَنَّهُ كَانَ رَجُلا يُقَالُ لَهُ : بَلْعَامُ ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ النُّبُوَّةَ ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ ، قَالَ : وَإِنَّ مُوسَى أَقْبَلَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُرِيدُ الأَرْضَ الَّتِي فِيهَا بَلْعَامُ أَوْ قَالَ : الشَّامَ , قَالَ : فَرُعِبَ النَّاسُ مِنْهُ رُعْبًا شَدِيدًا ، قَالَ : فَأَتَوْا بَلْعَامَ ، فَقَالُوا ادْعُ اللَّهَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَجَيْشِهِ ، قَالَ : حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي أَوْ حَتَّى أُؤَامِرَ ، قَالَ : فَوَامَرَ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَقِيلَ لَهُ : لا تَدْعُ عَلَيْهِمْ , فَإِنَّهُمْ عِبَادِي وَفِيهِمْ نَبِيُّهُمْ ، قَالَ : فَقَالَ لِقَوْمِهِ : إِنِّي قَدْ وامَرْتُ رَبِّي فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ نُهِيتُ ، قَالَ : فَأَهْدَوْا إِلَيْهِ هَدِيَّةً فَقَبِلَهَا ، ثُمَّ رَاجَعُوهُ ، فَقَالُوا : ادْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي ، فَوَامَرَ فَلَمْ يَحُرْ إليه شيء ، قَالَ : فَقَالَ : قَدْ وَامَرْتُ فَلَمْ يَحُرْ إلى شيء ، فَقَالُوا : لَوْ كَرِهَ رَبُّكَ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِمْ لَنَهَاكَ كَمَا نَهَاكَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى ، قَالَ : فَأَخَذَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا دَعَا عَلَيْهِمْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ الدُّعَاءُ عَلَى قَوْمِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ أَنْ يُفْتَحَ لِقَوْمِهِ ، دَعَا أَنْ يُفْتَحَ لِمُوسَى وَجَيْشِهِ أَوْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : فَقَالُوا مَا نَرَاكَ تَدْعُو إِلا عَلَيْنَا ، قَالَ : مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِي إِلا هَكَذَا ، وَلَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مَا اسْتُجِيبَ لِي ، وَلَكِنْ سَأَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلاكُهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الزِّنَا ، وَإِنَّهُمْ إِنْ وَقَعُوا بالزنا هَلَكُوا ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُهْلِكَهُمُ اللَّهُ ، فَأَخْرِجُوا النِّسَاءَ فَلْيَسْتَقْبِلْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ قَوْمٌ مُسَافِرُونَ ، فَعَسَى أَنْ يَزْنُوا فَيَهْلِكُوا ، قَالَ : فَفَعَلُوا وَأَخْرَجُوا النِّسَاءَ يَسْتَقْبِلْنَهُمْ ، قَالَ : وَكَانَ لِلْمَلِكِ ابْنَةٌ ، فَذَكَرَ مِنْ عِظَمِهَا مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُوهَا أَوْ بَلْعَامُ : لا تُمَكِّنِي نَفْسَكَ إِلا مِنْ مُوسَى ، قَالَ : وَوَقَعُوا فِي الزنا ، قَالَ : وَأَتَاهَا رَأْسُ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، قَالَ : فَقَالَتْ : مَا أَنَا بِمُمْكِنَةٍ نَفْسِي إِلا مِنْ مُوسَى ، قَالَ : فَقَالَ : إِنَّ مِنْ مَنْزِلَتِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِنَّ مِنْ حَالِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا تَسْتَأْمِرُهُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهَا : أَمْكِنِيهِ ، قَالَ : وَيَأْتِيهِمَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَارُونَ وَمَعَهُ الرُّمْحُ فَيَطْعَنُهَمَا ، قَالَ : وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِقُوَّةٍ فَانْتَظَمَهُمَا جَمِيعًا ، وَرَفَعَهُمَا عَلَى رُمْحِهِ ، قَالَ : فَرَآهُمَا النَّاسُ ، أَوْ كَمَا حَدَّثَ ، قَالَ : وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ ، قَالَ : فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو الْمُعْتَمِرِ : فَحَدَّثَنِي سَيَّارٌ أَنَّ بَلْعَامَ رَكِبَ حِمَارَةً لَهُ ، حَتَّى إِذَا أَتَى المَعْلُولَ أَوْ قَالَ : طَرِيقًا بين المعلولِ جَعَلَ يَضْرِبُهَا وَلا تَقَدَّمُ ، قَالَ : وَقَامَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : عَلامَ تَضْرِبُنِي ؟ أَمَا تَرَى هَذَا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ قَالَ : فَإِذَا الشَّيْطَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : فَنَزَلَ فَسَجَدَ لَهُ ، قَالَ اللَّهُ :وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، إِلَى قَوْلِهِ : لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سورة الأعراف آية 175 - 176 ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي بِهَذَا سَيَّارٌ ، وَلا أَدْرِي لَعَلَّهُ قَدْ دَخَلَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ حَدِيثِ غَيْرِهِ .

قال ابن حجر العسقلاني في بذل الماعون 37 مرسل جيد الإسناد، وفي رواية قريبا منها رواها السفاريني الحنبلي في شرح ثلاثيات المسند 2/713 وله عند ابن جرير طرق أخرى مرسلة يشد بعضها بعضا

وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ في قولِه "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا" قال هو بلعمُ وقال بلعامُ بنُ باعوراءَ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/28 رجاله رجال الصحيح

وقال في الآداب الشرعية والمنح المرعية 476 وَأَمَّا السُّلْطَانُ الْعَادِلُ فَالدُّخُولُ عَلَيْهِ وَمُسَاعَدَتُهُ عَلَى عَدْلِهِ مِنْ أَجَلِّ الْقُرَبِ فَقَدْ كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ شِهَابٍ وَطَبَقَتُهُمَا مِنْ خِيَارِ الْعُلَمَاءِ يَصْحَبُونَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ الشَّعْبِيُّ وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ وَالْحَسَنُ وَأَبُو الزِّنَادِ وَمَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمْ يَدْخُلُونَ عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالسَّلَامَةُ الِانْقِطَاعُ عَنْهُمْ كَمَا اخْتَارَهُ أَحْمَدُ وَكَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ

# الدخول على السلاطين ومعاونة الظالمين على ظلمهم

واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً فقيل‏:‏ كان عاملاً للحجاج فعزله فقال الرجل‏:‏ إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر‏:‏ حسبك بصحبته يوماً أو بعض يوم شؤماً وشراً‏.‏

وقال الفضيل‏:‏ ما ازداد رجل من ذي سلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً‏.‏  
  
وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول‏:‏ إن في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين‏.‏

وقال وهيب‏:‏ هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين‏.‏

وكان عمر بن عبد العزيز واقفاً مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر‏:‏ هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه

وقال ابن سيرين‏:‏ لا تحمل للسلطان كتاباً حتى تعلم ما فيه  
وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال‏:‏ حتى أعلم ما تكتب بها

وروي عن عثمان بن زائدة أنه سأله رجل من الجند وقال‏:‏ أين الطريق فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجهاً إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معيناً‏.‏

قال ابن كثير رحمه الله : " بيان سبب قتل يحيى عليه السلام:   
وذكروا في قتله أسبابا من أشهرها: أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه ، أو من لا يحل له تزويجها ، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك ، فبقي في نفسها منه.  
فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها ، استوهبت منه دم يحيى ، فوهبه لها ، فبعثت إليه من قتله ، وجاء برأسه ودمه في طشت إلى عندها ، فيقال : إنها هلكت من فورها وساعتها.  
وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته ، فأبى عليها ، فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك ، فتمنع عليها الملك ، ثم أجابها إلى ذلك ، فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طشت...  
ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا : هل كان في المسجد الأقصى ؟ أم بغيره ؟ على قولين: فقال الثوري عن الأعمش، عن شمر بن عطية قال: قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيا ، منهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: قدم بخت نصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي ، فسأل عنه ، فأخبروه ، فقَتل على دمه سبعين ألفا ، فسكن.  
وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب ، وهو يقتضي أنه قتل بدمشق ، وأن قصة بخت نصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري فالله أعلم " .  
وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم ، عن زيد بن واقد قال : رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق ، أُخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق ، فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير ، وفي رواية : كأنما قتل الساعة.  
وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جُعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة فالله أعلم" .  
انتهى من " البداية والنهاية " (2/ 64).  
وذكر ابن الأثير أن اسم الملك هيرودس. انظر: " الكامل " (1/269).

وأما الملكة أستير فلم تكن في بيت المقدس، بل في بلد يقال له شوشن ، من مملكة فارس، في عهد أحْشَويروش، حسبما جاء في قصتها المذكور في سفر أستير من العهد القديم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زُرُبِهَا[20]".

وعن مالك بن دينار قال: "يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض فإنهم أشد تحاسداً من التيوس، تنصب لهم الشاة الضارب فينب[21] هذا من ههنا وهذا من ههنا"!!!

أما الآثار : فقد قال حذيفة : إياكم ومواقف الفتن ؛ قيل وما هى ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه

وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه ؛ وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك ؛ وقال الأوزاعى : ما من شئ أبغض إلى الله من عالم يزور عملاً ؛ وقال عبادة بن الصامت حب القارئ الناسك الأمراء نفاق وحبه الأغنياء رياء ؛ قال أبو ذر من كثَّر سواد قوم فهو منهم أى من كثَّر سواد الظلمة ؛ وقال بن مسعود : إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له ؛ قيل له : ولم ؟ قال لأنه يرضيه بسخط الله ؛ وقال الفضيل : ما زداد رجل من ذى سلطان قرباً إلا إزداد من الله بعدا

الحالة الثانية :

أن يدخل عليك السلطان الظالم زائراً / فجواب السلام لابد منه ؛ وأما القيام والإكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه فإنه بإكرام العلم والدين مستحق للإحماد كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد ؛ ولكن الأولى أن لا يقوم إن كان معه فى خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ؛ ويظهر غضبه للدين وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه ؛ وإن كان الداخل عليه فى جمع مراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقياس على هذه النية ؛ وإن علم أن ذلك لا يورث فساداً فى الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الإكرام بالقيام أولى

# علماء السلاطين

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (( ... وإن أبغض القراء إلى الله الذي يزورون الأمراء)) [13267])) رواه الترمذي (2383)، وابن ماجه (50)، الطبراني في ((الأوسط)) (3/ 261) (3090)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (5/ 339). قال الترمذي: حسن غريب.

وروي عن حذيفة رضي الله عنه قال: (إياكم ومواطن الفتن، قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه) [13268])) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (1/ 277).

وقال خالد بن زيد: سمعت محمد بن علي - الباقر - يقول: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص) [13269])) ((البداية والنهاية)) (9/ 310).

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرقي عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال: (ثلاث لا تبلون نفسك بهن، لا تدخل على سلطان وإن قلت آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه)

والمراد من كل ما سبق هم سلاطين الجور والظلم، والنهي عن مخالطتهم وإتيانهم بقصد التقرب إليهم وحصول شيء من دنياهم وإعانتهم على ظلمهم قد تكون بمجالستهم ومؤازرتهم، وقد تكون بتبرير أخطائهم، بل قد تكون بالسكوت عنهم وعدم إنكار المنكر عليهم، وتكون بالدعاء لهم كما قيل: (من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله في أرضه) [13273])) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (7/ 46) عن الثوري.(الموسوعة العقدية-الدرر السنية)

قال ابن تيمية: (وقد قال غير واحد من السلف: أعوان الظلمة من أعانهم ولو أنه لاق لهم دواة أو برى لهم قلمًا. ومنهم من كان يقول: بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم، وأعوانهم هم أزواجهم المذكورون في الآية) [13274])) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 61) يقصد قوله تعالى: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ... [الصافات: 22].

وكنت أسمع أنه يقال‏:‏ إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم‏.‏

وقال ابن مسعود رضي الله عنه‏:‏ إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له‏:‏ ولم قال لأنه يرضيه بسخط من الله‏.‏

وقال محمد بن سلمة‏:‏ الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء‏.‏

قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال. قيل: وما ذلك? فقال: من الأئمة المضلين). (أي علماء السوء)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً).

وقال صلى الله عليه وآله سلم: (إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه). أراد به العالم الفاجر.

وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول "يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه" وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) لأنهم جحدوا بعد العلم،

فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً? قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

وقال الحسن عليه السلام: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء.

وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل وغني قوم إفتقر وعالماً تلعب به الدنيا.

وقال الحسن البصري رحمه الله: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة، وأنشدوا:

وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى "إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي، يا داود لا تأسل عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي، يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً؛ يا داود من رد إلي هارباً كتبته جهبذاً ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه أبداً"،

ولذلك قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما يحب. وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية?

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران).

لما تولى الحَكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل 154 هـ/771 م-206 هـ/822 م) الحُكم مالَ إلى أهل الفسق واقتراف الكبائر والمنكرات، فتحرك الفقهاء وأرادوا الخروج عليه، فحصلت الفتنة ووقع المحذور، وذاق الفقهاء من القتل والتعذيب ما ذاقوا، حتى قيل إنه قتل من الفقهاء ما يقارب السبعين رجلًا وصُلبوا في تلك الفتنة، وشاء الله لبعضهم النجاة فهرب منهم من هرب! وكان أحد العلماء "المطلوبين" لسيف السلطان الإمام الفقيه طالوت بن عبدالجبار المعافري تلميذ الإمام مالك رضي الله عنه، وهو من أكابر الفقهاء، وقد هرب من بطش الحَكم بن هشام، واستخفى عند جارٍ له يهوديّ مدة عامٍ كامل، واليهودي في كل يوم يقوم بخدمته ويكرمه، فلما مضى عاما طال على الإمام طالوت الاختفاء، فاستدعى اليهودي وشكره على إحسانه إليه، وقال له: قد عزمت غدًا على الخروج وسأذهب على الوزير أبي البسام فقد قرأ عليّ القرآن وعلمته العلم، ولي عليه حق التعليم وحق العشرة وله جاهٌ عند الحَكم فعسى أن يشفع لي عنده فيؤمّنني ويتركني. فقال اليهودي: يا مولاي لا تفعل. إني أخاف عليك من بطش الحَكم بك، وجعل اليهودي يحلف له بكلِّ يمينٍ ويقول له: لو جلست عندي بقية عمرك ما مللت منك. فأبى طالوت إلا الخروج، فخرج في الخفاء ليلًا حتى أتى دار الوزير فاستأذن عليه، فأذِن الوزير له، فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسه وسأله أين كان في هذه المدة، فقص عليه قصته مع اليهودي. ثم قال الإمام طالوت للوزير أبي البسام: اشفع لي عند الحَكم حتى يؤمنني فوعده الوزير بذلك، ثم خرج الوزير من فوره إلى الأمير الحَكم ووكل بطالوت من يحرسه. فلما دخل الوزير أبو البسام على الأمير الحَكم قال له: لقد جئتك بهدية؛ جئتك بِطالوت رأس المنافقين وقد ظفرت به! فقال الحَكم: قم فعجّل لنا به، فلم يلبث أن أُدخل الإمام طالوت على الأمير، وكان الأمير يتوقد ويشتعل غيظًا منه فلما رآه جعل يقول: طالوت؟؟! الحمد لله الذي أظفرني بك، ويْحك والله لأقتلنك شر قِتله! كيف استبحت حرمتي؟ فقال له الأمام طالوت: ما أجد لي في هذا الوقت مقالًا إلا أن أقول لك: والله ما أبغضتك إلا لله وحده حين وجدتك انحرفت عن الحق، وما فعلت معك إلا ما أمرني الله به، فسكن غيظ الحَكم. ثم قال: يا طالوت، والله لقد أحضرتك وما في الدنيا عذاب إلا وقد أعددته لك، وقد حيل بيني وبينك، فأنا أُخبرك أن الذي أبغضتني له قد صرفني عنك، اذهب قد عفوت عنك. ثم سأله الحَكم: يا إمام، كيف ظفر بك الوزير أبو البسام؟ فقال طالوت: أنا أظفرته بنفسي عن ثقة، فأنا لي فضل عليه فقد علمته القرآن والبيان، واستأذنته أن يشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت. فقال له: فأين كنت قبل أن تذهب إليه؟ فأخبره طالوت بخبر اليهودي. فأطرق الأمير رأسه، ثم نادى على وزيره أبي البسام وقال له: : حَفِظَهُ يَهُودِيٌّ ، وَسَتَرَ عَلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، وَغَدَرْتَ بِهِ إِذْ قَصَدَكَ وَخَفَرْتَ ذِمَّتَهُ؟! ألا أديت له حق تعليمه لك، ألم تعلم أنه من خيار أهلِ ملّتك، وأردت أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه من سوء الانتقام، اخرج عني قبّحك الله، لَا أَرَانَا اللَّهُ فِي الْقِيَامَةِ وَجْهَهُ إِنْ رَأَيْنَا لَكَ وَجْهًا وَطَرَدَهُ. ثم مضت سنوات فرأى الناس هذا الوزير المنافق الكاذب في فاقةٍ وذُل، فقيل له ما بك وما الذي أصابك؟ قال: استجيبت فيَّ دعوة الفقيه طالوت، وَكَتَبَ الحكم لِلْيَهُودِيِّ كِتَابًا بِالْجِزْيَةِ فِيمَا مَلَكَ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ، أَسْلَمَ مَكَانَهُ. وأما الإمام طالوت فلم يزل مبرورًا عند الأمير إلى أن توفي، فحضر الحَكم جنازته وأثنى عليه بصدقه وإخلاصه. إنتهى بتصرف. سير أعلام النبلاء ج8 ص254